حكايات جدتي

ذات القبقاب الذهبي

الحلقة الثانية



تأليف
محمد عبد الله الزكرة

حكايات جدتي

ذات القبقاب الذهبي

الحلقة الثانية

تأليف

محمد عبدالله الزكرة

تزوجتْ فتاةٌ جميلةٌ ، وعاشَتْ حياةً كُلَّها سَعادة ونعيم، حياةً أحلى من الأَحْلام اللطيفَة ، فالقصرُ جميلٌ، تحيط به أسْوارٌ مُغطاةٌ بأَنْواعٍ من نباتات الزينةِ ، تتدلى منها أزهارٌ مختلفةُ الألوانِ والأشْكال ، وورودٌ حمراءُ وبيضاءُ وصفراءُ ، تفوحُ رائحتُها الزكية ، فتعطِّر القصرَ وماحوله، وهناك الأشجارُ العاليةُ ، والغصونُ الرَّاقصةُ ، والنَّخْلُ باسقاتٌ لها طَلعٌ نضيد ، وبين الغصونِ تسمع أغاريدَ الطيورِ ، وشَقْشَقَةَ العصافيرِ المختلفةِ الألوانِ والأصوات تُطْعِمُ فِراخَها ، وتناجى بعضها ، وتَتنقلُ من غصنٍ إلى غصنٍ وهى مُطْمئنة ، لاصيّادَ يطاردها ولاعدوّ يخيفها.

أما القصرُ فكان أشبهَ بقصور الجنةِ ، قبابٌ عاليةٌ ، وأبراجٌ جميلةٌ ، تحومُ حولها الحمائمُ البيضاءُ ، وترفرفُ عليها الأعلامُ البيضاء ، إذا نَظَرْتَ ثَمَّ رأَيْتَ نعيمًا ومُلْكًا كبيرًا ، الفواكهُ تتدلى مِن غصونها ، تفاحٌ وعنبٌ ورمان، والمياه تجرى فى قَنَواتٍ فِضِّيةٍ ، يُحْدِثُ خريرها نغمًا ساحرًا ، وأشعةُ

الشمس نهارًا ، وأضواءُ القمر ليلاً ، تنعكسُ على تلك القنوات ، وعلى القباب والأبراج ، وعلى الزُّجاج الملوّن ، والبلّور المزَخْرَفِ ، فَتُنْسى الإنسان نفسَه ، ولا يعرف يومَه من أمسِه.

وفى جنبات هذا القصر العجيبِ ، كانت تتنقل تلك العروسُ الحسناءُ مع زوجها الشابِّ الوسيم ، صاحبِ الخُلُق العظيم ، لا يَنْقُصُها شىء فى هذه الحياة .. شبابٌ فتّانٌ ، ومالٌ وجاهٌ وملكٌ وسلطانٌ ، وأمانٌ واطْمئنانٌ ، ورغم كلِّ هذه السّعادةِ كانت الشابةُ الجميلةُ مشغولةً ليلَها ونهارَها برغبةٍ واحدة هى أنْ يرزقها الله بمولودٍ يملأ فَراغَها ، ويُسْعِدُ بيتَها ، يناغيها وتناغيه ، وَيُسَلّيها وتسلّيه ، ويقرّ عينها .

وكان زوجُها السلطانُ يشعر بمثل هذا الشعور ، ويتمنى على الله مثل ما تمنتْ زوجته ، ولكنه لم يُظْهِرْها ذلك ، حتى لا تشعرَ بالحزن والقلق ، وحتى تكونَ مطمئنةً هادئةَ البالِ.

ومنذ طفولة هذه العروس الجميلة كانت تشعر بأن اللهَ معَها ، ولن يتخلى عنها ، وسَيُحقق آمالها ، ويُخرجها من

كل ضائقة ، وينجيها من كل شرّ ، ولم تمض إلا أشهر معدودات حتى أحسَّتْ بأن بين جَنْبيها أملاً فاسْتَبْشَرَتْ خيرًا ، وسجدتْ للهِ شكرًا ، وأخبرتْ زوجها فكاد يطير فرحًا ، وأخذا يحسبان الأيامَ والشهورَ انتظارًا للمولود السعيد .

فلما اقتربَ موعد الولادة ، ناداها قلبُها المخلص ، وحنانها وشفقتها ، فاستدعت أختيها ، ونسيت ما كان منهما ، وأقبلت الشقيقتان وقلبُهما يتمزَّق حِقدًا ، لم تأتيا لتشتركا معها فى فَرْحَتها ، ولكن لتهدما بيتَها الجديدَ ، وعُشَّها السَّعيدَ ، وفَرْحتها التى أَذِنَ الله لها أنْ تكتملَ .

لقد استقبلتِ الأختُ الكبرى المولودَ ، ولفَّته فى قطعةٍ من النَّسيج ، ووضعتْ مكانه على السرير جروًا ملفوفًا فى ثيابٍ من الحرير المزَرْكش ، وأسرعتْ إلى شاطئ البحر وألقتْ بالمولود هناك تحت أشِعَّة الشمس ، وفى مهبّ الرياح . وأوْقدتِ الشُّموعَ حول سرير المولود ، وأطلقت البخور

وطلبت من الأطفال أن يغنوا أغانى الطفولة فى انتظارِ قدوم السّلطان الذى أصبح منذ الآن أبًا ووالدًا.

ولما وصل السلطان أُطْلِقَتِ الزَّغاريدُ، وصدحت الموسيقى وابتدأ الحَفْلُ الكبير بالرقص والغناء، وأُضِيءَ القصرُ بالمصابيح، ثم أقيمت الموائد، وارتسمت على الوجوه ابتسامات الفرح والسرور، ثم وقف السلطان يُصَلِّى صلاة الشّكر للواهب المعطى، ولكنَّ الأخْتَيْن الخبيثتينِ كانتا على موعد مع المفاجأة القبيحة، لتُحيلا كل هذه المسرات إلى أحزان، وكل هذه السعادة إلى تعاسة.

وحدثت المفاجأة عندما جاء السلطانُ وانحنى على سرير المولود ليرفع عن وجهه الغطاءَ، ويقبله قبلةَ الاستقبال، فإذا به يكاد يُصْعَقُ من هول المفاجأة، حيث لم يجدْ على السرير طفلًا، ولكنه وجد جروًا! فلم يصدّقْ عينيه، ولكنَّ الأختين اقتربتا منه، وأظهرتا له الأسف والحزن من أجل زوجته التى لم تلد طفلًا كما تلد النِّساء، ولكنها ولدتْ له

جـروًا !! يافضيحتاه !!

ولكن السّلطان لم يمكنْهما من الشماتة فى زوجتـه ، وتذكر مدى حبّه لها ، وحبّها له ، وقال : هذا لايهمّ ، فـاللّهُ هو الذى يُعطى ويمنع ، والواجبُ علينا أن نرضى بما قسم اللّه ولانعترض على مشيئته ، فخجلت الأختان وانصرفتا دون أن يتحققَ غرضهُما من التَّفريق بين الزوج وزوجته. وعاشت الزوجة تصلّى لربّها ، وتدعوه أن يعوّضها خيرًا. وقبل مضى عام من هذا الحادث .. تهيأت للوضع .. واستدعت أُخْتَيْها، ولم تكن تعلم نِيَّتهما السيئة، ومثل ماحدث فى المرة الأولى ، حدث فى المرة الثانية ، فقد وضعتا مكانَ المولود قطًا أسودَ ، أما الطفلُ الحقيقىُّ فقد رُمى به على شاطئ البحر ، كأخيه فى العام الماضى، ولما رفعت الأخت الوسطى الغطاء أمام السلطان ليرى مولوده السعيد ، رأى قطًا أسود !! وانتظرت الأختان أن يضيق صدر السّلطان فى هذه المرة ، ويطلّق هذه

الزوجة التى لا تلدُ له إلا الحيوانات .. ، ولكنه لم يفعلْ شيئًا من ذلك ، بل قال : سبحانَ الله ! اللهُمَّ إنى مؤمنٌ بقضائك وقَدَرك ، ولا اعتراض لى على مشيئتك وأنت خيرُ الواهبين .

ثم انصرفتِ الشقيقتان - والحزن يملأ قلبيهما - لأنهما لم تحققا غرضهما ، وتركتا أختَهما تعيش مع زوجها فى سلامٍ واطمئنان .

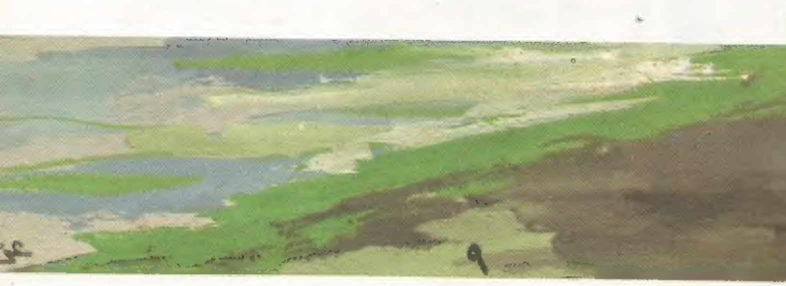
ذلك بعض ما دار فى القصر .. خلال هذين العامين فلنذهبْ إلى شاطئ البحر لنرى ماذا جرى هناك فى هذه الفترة ..

لقد كان على شاطئ البحر كوخ صغير ، وبجانبه شجرة تفاح مثمرة ، ذات ظل ممدود ، وكان يسكن هذا الكوخ رجل عجوزٌ وزوجته ، ولم يكنْ لهما أولاد ، ولكنهما عُرفا بالتقوى والصّلاح ، والعَطْفِ على الضعفاء ممن يمّرون بالكوخ وكان العجوز يخرج كل يوم إلى شاطئ البحر متوكّئًا على

عصاه ، ويُحْضِرُ من الطعام مايحتاجان
إليه ، وكانت شجرة التفاح هى الأخرى
طيِّبة كريمةً تُسْقِطُ لهُما كلَّ يومٍ
تفاحتين ، إحداهما للشيخ والثانية لزوجته
فإذا زارهما ضيفٌ لم تَنْسَ الشجرةُ
ذلك الضيف ، بل تُسْقِطُ له أيضًا
تفاحةً ثالثة ، وهكذا كلما زاد عدد
الضيوف زاد عدد التفاح الذى
تُسْقِطُهُ الشجرة الكريمة ، وكان
العجوزان يشكران الله على ما أنعم به
عليهمَا من صحةٍ ورزقٍ وراحة بال .

• • •





وفى يومٍ عاد الشيخ ومعه طفل صغير جميل، لايبكى كما يبكى الأطفال، ولكنه كان يبتسم ويبتسم وينظر إلى السماء، فأخذته العجوز، وفرحتْ به، وقالت: نربِّيه حتى يكبر، ليجزيَنا الله خيرَ الجزاء.

وفى العام التالى .. عثر الشيخ على شاطئ البحر على طفلٍ آخر جميلِ الصورة، فحمله مسرورًا، وذهب به إلى الكوخ، ففرحت به زوجته فرحًا شديدًا، وأخذتْ تَتَعَهَّدُه مع الطفل الأول، وترعاهمَا حتى كبرا، وأصبَحَا يستطيعان الجرْى والوَثْبَ.



ثم حملتْ زوجة السلطان المسكينة للمرةِ الثالثة، وكانت تتوسَّلُ إلى الله أن يرزقَها بمولود تقرُّ به عينُها وعينُ زوجها .

وفى إحدى الليالى المقْمِرَة ، وقفتْ أمام النافذةِ تنظر إلى القمر وهو يظهر ويختفى بين السُّحُب ، فأخذت تناجى ربَّها قائلة :

ياإلهى : لقد وَسِعَتْ رحمتك كلَّ شىءٍ ، وأنعمْتَ على جميع المخلوقات بشتى النعم ، هذه العصافير منحتَها السعادة وعلمتَها كيف تتكاثر ، فباضتْ ، ثم احتضنتْ بيضَها حتى فقس ، ثم أطعمتَها وعلَّمْتَها كيف تتنقَّلُ وتطير ، وبدأت هى الأخرى حياتها ، وهكذا جميع الطيور والحيوانات تتكاثر ، حيث يتعاون الذكر مع الأنثى على تكوين الأسرة الجديدة بإذن الله ورعايته .

فياإلهى : اِمنحنى طفلاً كما منحْت الآخرين ، وارزقْنى بالذريَّةِ الصالحة ، وباركْ لى فى حَمْلى ، ولا تُخزِنى يارَبَّ

العالمين ، وارحمْ هذا الزوج الصالح ، وأدْخِلْ فى قلبه الفَرْحَةَ ، ولا تتركْ اليأسَ يتسَرَّبُ إلى قلبه .

ولما انتهتْ مناجاتُها لربِّها ، بدأ النعاسُ يداعِبُ جَفْنَيْها فاستسلمتْ لنومٍ عميقٍ ، ثم رأتْ فى منامها أنَّ القمرَ يقتربُ منها ، ثم يدنو ، فيظهرُ على وجهه وَلَدانِ وبنتٌ ثم يهمسُ القمرُ فى أُذُنِها : إن اللهَ منحكِ ثلاثةَ أطفالٍ كهؤلاءِ ، وسيلاقون نجاحًا عظيمًا فى حياتهمْ ، ولكنَّكِ لن تَتَمَتَّعى بهمْ إلا بعدَ سنواتٍ ، فاطمئنى فإن المستقبلَ أمامَكِ مضىءٌ ، رغم بعضِ الغيومِ ، وقِطَعِ الظلامِ التى سوف تَنْقَشِعُ وتزولُ .

ولما حانَ موعدُ ولادتها للمرة الثالثة ، دَعَت أُخْتَيْها كعادتها ، فحضرتا تنويان الشرَّ ، فقد وضَعَت أختَهما مولودة جميلة ، ولكنهما سرعان ما أخفتاها ، وألقتا بها على شاطئ البحر ، ووضعتا فى مكانها طائرًا عجيبًا يشبه الخفَّاش ، وحينما رآه الزوجُ ، فقد صوابَهُ ، وضاقَ صدره.

وابتسمتِ الأختان ، وظهرتْ عليهما علاماتُ الارتياح، وعادتا إلى دارهما مَسْرورتَيْنِ ، وعمّ القصرَ الظَّلامُ ، حتى الأطيارُ سكنَتْ عن التَّغْريد ، وهكذا نجحَ الحسُودُ. ولو مؤقتًا. وأمرَ الزوجُ بأن توضعَ زوجتُهُ فى الحظيرةِ مع الحيواناتِ والطيورِ ، وعاشتِ الزوجةُ فى حظيرة القصرِ .

أما ابنتها التى رُميتْ على شاطئِ البحر ، فقد خرجتْ لها عرائسُ البحر ، وابتسمْنَ لها ، وبشَّرْنها بالسَّعادة والنجاح ، وقلن لها : إن بكيتِ نزل المطرُ، وإنْ ضَحِكْتِ نزل التِّبْرُ، فبكاؤكِ رحمةٌ ، وضحككِ نعمةٌ ، هذه ميزتك التى اختصَّكِ اللهُ بها . وفى هذه اللحظات أحسَّتِ العجوزُ فى كوخها بأنَّ شجرةَ التفاح ألقتْ تفاحةً خامسةً ، فعلمتْ أن ضيفًا جديدًا قادمًا السَّاعَةَ ، فقالتْ لزوجها : اذهب إلى شاطئ البحر، وستعودُ ومعكَ الضَّيْفُ المنْتَظرُ .

ولم يبطئ الشيخ ، بل عاد مسرعًا يحمل فتاةً جميلةً كالقمر، لطيفة كالوردةِ ، فاستَقْبَلَتْها العجوزُ بقلبٍ مفتوحٍ تَغْمُرُهُ السّعادة ، وبات العجوزان ليلَتَهما ساهِرَيْنِ فى سرورمع هذا الملاكِ الطّاهرِ الذى أضاءَ حياتَهُمَا .

وتفرّغ العجوزان لخدمة هؤلاءِ الأطفالِ الثّلاثَةِ ، ومرّتْ سنواتُ ، فكبرالأطفالُ الثلاثةُ ، وعاشُوا متحابّينَ لايفارقُ بَعْضُهُمْ بعضًا، وأصبح العجوزان والِديْنِ لهم لايطيقون فِراقَهُمْ وأصبحَ الكوخُ الصّغيرُ يضمُّ أُسْرةً كبيرةً تَتَكَوّنُ من خمسةِ أشخاص.

• • •



أما شجرةُ التفاح .. ففى كلِّ صباحٍ كانت تُسْقِطُ لهم خَمْسَ تفاحاتٍ ، وكان الولدان يَنْزِلان إلى المدينةِ كل يومٍ، يسيران فى شوارعها ، ثم يعودان فى آخر اليوم ويتحدَّثان عما شاهداه ، وفى يوم من الأيّام عرض عليهما أحدُ التُّجار العملَ معه ، فقبلا ذلك ، وعملا بجدٍّ ونشاط ، فتضاعفتْ أرباحُ التَّاجر ، وراجت تجارته فاستبشر بالولديْن خيرًا ، فزاد لهما فى الأَجْر ، وزادا له فى الإخلاص للعمَل ، واشتهر الولدان بين التجار بالسُّمْعَةِ الطيِّبةِ ، والثقةِ الكبيرة .

ولما بلغا مبلغ الرجال ، أصبح لهما شأن كبيرٌ، فلم يعودا أجيريْن ، بل أصبحا شركاءَ فى شركاتٍ تجاريةٍ كثيرةٍ ،حتى أن كبار التجار كانوا يستشيرونهما فى مشروعاتهمْ ، وصارت مجالسهمْ تَضُمُّ أصحابَ الأعمالِ حتى أن السلطان كان يجالسهُما ، ويُعجَبُ بذكائهما

أما الشيخُ وزوجته .. فقد أشارا عليهم بالاستقلال فى المعيشة ، عندما بدأ الأَخوان يَكْسبانِ رزقهما ، ولكن الأبناءَ عزّ عليهم تشتيتُ الأسرةِ ، وألحّوا على العجوزَيْنِ فى الانتقال معهم إلى البيت الجديد الذى انتقلوا إليه ، فأقسم الشيخ ألاّ يفارق هذا الكوخَ ، وأوصى الولدين بأختهما خيرًا .



وهكذا أصبحتْ هذه الأسرة الجديدة موضع أنظار الناس ، الأخوان الذكيان ، وأختُهما الجميلةُ فى القصر الصغير الذى يواجه قصر السّلطان. ولم يكن السّلطان يعلم أنّ جيرانَه هم أبناؤه ، ولم يكن الأبناءُ يعلمون أن أباهُمْ هو السّلطان !

وكان لابدّ للجيران أن يتزاوروا ، بعد أن توثقتْ صِلَةُ السلطانِ بجيرانه . فكّرالسّلطانُ ذاتَ ليلةٍ فى الزواج عسى اللهُ أَنْ يَرْزُقَهُ بمولودٍ يجدِّدُ آمالَهُ ، ولم يجدْ فى المدينة أسرةً تملأ عينيهِ مثلَ تلك الأسرةِ المجاوِرَةِ، فلماذا لايتقدَّمُ لِخُطْبَةِ هذه الفتاة ؟ هكذا بدأ يفكر، وطال به التفكير .

ونعود إلى الخالَتَيْنِ المقيمتَيْنِ فى بيتِ الغول :

لقد بدتْ عليهما النَّعاسةُ ، حيث لم يرزقْهُما اللهُ بذريةٍ وعادتا تفكران من جديد فى تعكير صفو هؤلاءِ الإخوة الذين أصبحوا من عُظَماءِ الناس ، وسكنوا بجوار السُّلطان، فذهبتْ إحداهما إلى حيث تقيمُ هذه الأسرةُ الصَّغيرةُ السعيدَةُ ، وانتظرتْ حتى خرجَ الأخوان الشَّابّان، ثم طرقتِ البابَ ، فردَّتْ أُخْتُهُما : من الطارق ؟ قالت : أناخالتك ، افتحى ، فقالت : لاخالة لى !! ولا أستطيع أن أفتح الباب لأحدٍ إلا بإذن أَخَوَىَّ ، وقدخَرَجَا توًّا.



قالت الخالة :
افتحى لىَ الباب يامسكينة،
إنَّ أخويْكِ لايحبّانك ، بل
هُما مصدر تعاستك ،ولو
كانا يحبّانكِ كما تظنينَ
لأَحْضرا لك ابنةَ سُلْطان
البَرْق ، تؤْنِسُك وتُسَلّيكِ ،
فتأَثَّرتِ البنتُ من هذا
القولِ ، وبكتْ فأَمْطرتِ
السّماءُ ، فأسرعَ أخوهَا
بالعودة إلى المنزل،
لأنه يعلم أَنَّ أُخْتَه
إنْ بكتْ نزلَ المطرُ،
وإن ضحكتْ نزلَ التِّبْرُ،



فسألها أخوها عن سبب
بكائها ، فأخبرتْه بما سَمِعَتْ
فَطَمْأَنَها ، وربَّتَ على كَتِفِها
وقال لها : سأُحْضِرُ لكِ ٱبنةَ
سلطانِ البَرْقِ مهما كلّفنى
ذلك من مشقّةٍ ، لأُوفِّرَ لكِ
السَّعَادة ، ثم خلعَ من إصْبَعه
خاتمًا ، ووضعه فى إصْبعها ،
وقال لها : إنْ ضاق عليكِ
الخاتمُ ، فاعلمى أنى لن أعود ،
وإلا فاعلمى أنى حىٌّ لم أمتْ !
وانطلق بحصانه يبحث عن
بنت سلطان البرق ، ويسأل
فى كُلّ مكانٍ ، ولٰكنْ
بدون جدوى ، إلى أنْ

وصل إلى حيوانٍ ضخم يُقالُ له ٱلغولُ ، فقال له : ـ بكل أدبٍ ـ السّلامُ عليك يا ملكَ الحيَوانِ ، فردّ عليه الغول : لولا أنَّ سَلامَكَ سبق كلامَك ، لأكلتُ لَحْمَكَ وكسرت عظامك ، فقال له : لماذا يا سيّدى ؟ فأجابَهُ : جوع وظمأ يا ولدى ! فأسرع الشابّ وجلب له الطعام والماء . فأكل الغول وشرب ، ثم سأل الشاب عن سبب حضوره إلى هذه الأماكن الموحشة ، فحكى له قصّة أخته ، فقال له الغول : اذهب إلى أخى الكبير ، فهو أكثرُ مِنّى دَهاءً .

فذهبَ ٱلشابُ إلى ٱلغول الكبير ، وَحدّثهُ عن أمرِهِ ، فقال : له الغول : اِذهبْ إلى أختى الغولة ، فإنْ وَجَدْتَ حولها دجاجًا أسودَ ، وولدُها يرضع من خلفِهَا ، وقطبُ رَحَاها رجل حمار ، فٱبتعدْ عنها ولا تقتربْ منها . وإن وجدْتَ حَولها دجاجًا أبيضَ ، وَولدهَا يرضعُ من أمامها ، وقطبُ رحاها خشبى فأسرع وخذ جرعةَ لبنٍ من ثدْيِها ، وقبضةً مِنْ دقيقِهَا ، وقل لها : أنا ولد وزّان ، وحياتكِ تدلّينى على طريقِ بنتِ

سلطان البرق . وذهب إلى الغولة ، وعندما رآها ٱبتعد عنها ، لأَنه وَجدها فى أسوأ حالات غضبها ، وبعد أن زال عنها الغضبُ ، أقبل عليْهَا ، وأخذ جرعةَ لبنٍ مِنْ ثدْيهَا ، وقبضةً مِنْ دقيقِها ، وقال لها : بٱسْم ولدِ وزان لاتضربيني ، فسألته عن سبب سُلوكه هذا ٱلطريقَ ٱلوعْرَ ، فحكى لها قصةَ أخته ، فقالت له الغولة : ٱنظر إلى هذهِ الأحجارِ المتراكمةِ ، إنّها رجالٌ مسْخوطة ، وفرسان تحوّلت إلى أحجار ، وإذا لم تحترسْ وتحافظ على نفسِكَ فسَيكونُ مَصيرُكَ مِثلَ مصيرِهِمْ ، واسْتمع لنصحِي ، فإن خالفته كنتَ من الهالكين . هنالك بنتُ سلطانِ البرْق نائمة ، فإذا وصَلْتَ إليها ، وقبضْتَ على خُلْخَالِها . ٱسْتسلمت لكَ ، وإن حاولتَ ذلكَ ، وضعُفتَ قبْلَ أن تقبضَ على خلخالِها ، تحولتَ إلى حجرٍ مثلَ تلك ٱلأحْجارِ . ولما ٱقترَبَ منهَا ومدَّ يدَه إلى خلخالِها ، ٱضطربَ وٱرتعشتْ يدُه ، فاسْتيقظتْ بنتُ سلطانِ البرقِ ، وبصقت عليْهِ ، فتحوّل إلى حَجَرٍ .

وعند ذلك ضاق الخاتمُ على إصبَع أختهِ، كما أخبرها، فعلمت أنه ماتَ، فبكتْ، فأسرع إليها أخوها الثانى، فأخبرته بما حدث، ولما علم بالأمر، أسرع ليبحثَ عن أخيه، ويبذل جهْدَهُ لإنقاذه، فكان يقطع الصّحارى، ويتسلّق الجبالَ إلى أن وَصَل إلى الغيلان الثلاثة، واستمعَ إليهمْ، ثم ذهبَ إلى بنتِ سلطانِ البرقِ، ومدّ يَدَهُ - فى قوةٍ - فقبض على خلخالها، فاستسلمت له، وقالت له: أفى الأمر خيانة؟ فقال لها: لاخيانة ولاغدر، ولكن أين أخى الفارس الذى جاء إلى هنا؟ فأعطَتْهُ زجاجةً بها ماءُ الحياة، وقالت له: رُشَّ منها على هذه الأحجَار، فلما فعَل عادت الحياة إلى أخيه، وعاد الأخوان فرحَيْنِ إلى أختهما، ومعَهُمَا بنت سلطان البرق. وكم كان فرحُها عظيمًا عندَما رأت أخويْها أمامها، لأنها كانت قلقةً عليهمَا، وحزينةً من أجلِهمَا وقد شكرتهمَا على شجاعتهما، وتضحيَاتِهمَا الكبيرَةِ فى سبيل سَعَادتِها وهَنَاءَتها.

وٱسْتأنسَتِ الأخت لبنت سُلطان البرق ، وٱعتبرتْها كأختِها ، وعاشتا معًا عيشةً هنيئةً ، إلى أن جاءت الخالة الشرِّيرةُ ، وطرقتِ البابَ ، فردَّتْ عليها الأختُ ، ولم تفتحْ لها البابَ ، لأن أَخوَيْها طلبا منها ألاّتفتح البابَ لأحدٍ إلا بإذْنهما ، فقالتْ لها الخالة : إنَّكِ تعيسةٌ بأخويْكِ ، ولوكانا يُحِبّانِكِ لأَحْضَرَا لكِ التفاحَ الذى يفوح ، والماء الذى يردّ الروح ، عند ذلك بكتِ الأختُ ، فنزل المطرُ ، فجاء إليهَا أخوها الأصغر ، ولما علمَ بالأمر ، ٱمتطى حصَانَه وانطلق مسْرِعًا إلى الجبَال والصَحارى حتى وصل إلى الغيلانِ الثلاثة ، وقال



للغولة : بالله عليك تدلينى على الطريق الذى يؤدى إلى التفاح الذى يفوح ، والماء الذى يردّ الروح ، فنظرت إليه الغولة نظرةَ عطفٍ وإشفاقٍ ، وقالت له : إن الطريقَ الذى تسلكه يبدأ مِن هنا ، فَسِرْ فيها إلى نهايَتِها ، وهناكَ ستجدُ نفسَك أمامَ الجبَلِ الذى تراهُ الآن ، وعليك أن تصعَدَ الجبلَ حتى تصلَ إلى قِمَّتِهِ ، وَسَتَبْذُلُ فى صُعودِهِ جهدًا كبيرًا ، وعند قُمَّةِ الجَبَلِ ستجدُ مزرعةً فيها رجالٌ يرتدونَ ملابسَ النساءِ ، ونساءٌ يرتدين ملابسَ الرجال ، وكلابٌ تأكل العشبَ ، وأرانبُ تأكل العظام . ولكى تنالَ ماتريدُ ، ضعْ كل شىءٍ فى موضعِه الصّحيح ، أعطِ للرجال ثيابَهمْ وللنساءِ ثيابَهنَّ ، وارْمِ العِظامَ للكلابِ ، والعُشْبَ للأرانبِ وبذلك تكونُ قد أحسَنْتَ إلى جميعِ مَن فى المزرعةِ ، فيحبّونك ويأنسُون بك ، ويقدّمونَ لك كلَّ مساعدةٍ ، والله يرعاك .

انطلقَ الشّابُّ نحو الجبَل ، وأخذَ يتسَلَّقُه متحمِّلًا الصِّعابَ حتى وَصَل إلى قِمَّةِ الجبَلِ ، حيث توجدُ المزْرَعَةُ ، فوقف

يُديرُ بصرَهُ هنا وهناك ، ليعرفَ حقيقةَ هٰذهِ المزرعةِ وَسِرَّها ، وكانتِ ٱلغولة قد أخْبَرَتْه بأَنَّ فى المزرعةِ بئرًا عميقةً يَسْتَخْرِجونَ منها ٱلماءَ بدلوٍ كبير ، وأن فى هذه ٱلبئرِ السرَّ العظيم ، وأنه سيجتاز ٱمْتحانًا صعبًا عِندَ هذه ٱلبئر ، فإن نجحَ فيهِ نال ما تمنَّى ، وإنْ هو أخفقَ تعرَّضَ للمخاطرِ وقالت له ٱلغولة : إذا وصلْتَ إلى البئرِ ، فَألقِ فيها الدّلْوَ حتى يمتلئَ ، فإذا استخرجْتَه فعجِّلْ بتفريغِ مائِهِ على الأرضِ ثم ٱفْعَلْ ذلك ثلاثَ مراتٍ ، وفى المرةِ الأولىٰ سَتجدُ فى الدلو فتاةً حسناءَ ، وستطلبُ منكَ أن تتزوجَهَا ، فإذا رأيتَهَا فٱحذرْ أن تكلمَهَا ، بل أسرعْ وألقِ ماءَ الدّلوِ على الأرض ، لأنك إنْ عطفتَ عليهَا هلكْتَ ، وفى المرةِ الثانية .. ٱفعَل ما فعلتَ فِى ٱلمرةِ ٱلأولى ، وفى المرّةِ الثالثةِ .. لا تلقِ ٱلدّلو على الأرضِ ، بل ٱحمِلْه وخذه على كتفك ، وخذْ غَرْسَتَيْنِ مِن التفاحِ الذى يفوحُ ، ومَعَك ٱلماء ٱلذى يردّ ٱلروح ، ثم ٱخرجْ تحرسُكَ عِناية الله .

وعند ما همَّ بالخروج سمعَ سكانَ المزرعةِ يطلبون من الحراس إغلاق الأبواب ، والقبض على الشابّ ، إلا أن الحراسَ سَخروا مِن هذا الطلب ، وقالوا : بل سنفتح الأبوابَ لهذا الشابِّ العادل ، الذى ردَّ إلينا حقوقَنا ، وأعادَ إلينا طعامَنا ، ونظمَ لنا ثيابَنا ، وخرجَ الشابّ منتصرًا مسرورًا، ماءُ الحياةِ على كتفِه ، والتفاحُ الذى يفوحُ فى يدِه ، وآمتطى صهوةَ جوادِهِ ، حتى وَصَل إلى بيتِهِ ، فاستقبلهُ أخوهُ وأختُه فرحَيْن ، ولا تسلْ عن مَدَى الفَرْحةِ التى غمرتْ أخْتَه بعد أنْ جاءَ لها بما تعجز الجنُّ عنِ الوصولِ إليهِ ، وعاش الإخوةُ أيامًا جميلة .

ولكنَّ طريق الشرِّ مازال طويلًا ، ذلك أن الأخْتَيْن الحاقِدَتَيْنِ مازالتا تفكِّران فى تَعْكيرِ صَفْوِ الإِخْوَةِ الثَّلاثةِ فقد ذهبتْ إحْداهُمَا إلى الفَتاةِ الطَّيِّبَةِ وطرقتْ بابَ بيتِها ، وقالتْ لها : اِفتحى لخالَتِكِ البابَ ، فقدْ جِئْتُ لأطمئِنَّ عليكِ ، فقالت لها كالعَادةِ : ليسَ لِى خالة ..

ولن أفتحَ البابَ ، فقالت لها الخالة : يا سوءَ حظّكِ بأخويْكِ ، لوكانا مُخْلِصيْن لكِ كما تظُنّين ، فاطلبى منهما ... فقاطعتها الفتاةُ قائلة : دعِى هذا الكلامَ الآنَ ، لقدْ حقّقا لىَ ماطلبتُ ، وأحضرَا لىَ بنتَ سلطانِ البرقِ ، وماءَ الحياةِ ، فقالتِ الخالةُ : اطلبى منهمَا الطائرَ الذى يغنى وجناحُه يردُّ عليْه ، فثارتِ الفتاةُ وتحيَّرتْ ، ثم بكتْ فهطل المطرُ ، وأحسّ أخواهَا ، فحضرَا إليهَا على الفورِ ولما علم أخوهَا الأصغرُ بسببِ بُكائِها ، وعدَها بأنْ يُحضِرَ لها هٰذا الطائرَ ، ثمّ سارَ مسْرِعًا حتىَّ وَصَل إلى الغولةِ ، وقصَّ عليهَا قِصّةَ أُختِهُ ، وَحَاجَتِهَا إلى الطائرِ المذكور .

تعجبتِ الغولةُ من أمرِ هٰذا الشابّ ! وقالتْ : إنَّ الذى يطلبُ منكَ هٰذهِ الأشيَاء .. إنمَا يُريدُ أنْ يتخلصَ منكَ فى لحظاتٍ !!!

• • •

إنَّ الطائرَ الذى تُريده يعيشُ فى وادٍ بعيدٍ، وحياتُهُ عجيبةٌ ، فإنه إذا نامَ ٱصْفَرَّتِ الدنيا ، وإذا استيقظَ ٱبْيَضَّتْ ، وإذا نهضَ واقفًا ٱحْمَرّتْ ، وإذا رآكَ سَيشْكو لك همُومَ الحياةِ ، فإذا وجدَ فيك لينًا وعَطْفًا .. ضَرَّكَ فإذا وجدته مستيقظًا فلا تصدّق كلامَه، بل انتظرْ وترقبْ لحظَةَ نومِهِ ، فإذا أغمَضَ عيْنيهِ فٱهْجُمْ عليه وقَيِّدْ رِجْليْه فإنك إنْ فَعلْتَ ذلكَ ، نجوْتَ منهُ ، وإلا هلكتَ !

وٱتجهَ ٱلفتى نحْوَ ٱلطّائرِ ، وٱختفى وراءَ إحدى الأشْجار ، فسمعَهُ يندبُ سُوءَ حظهِ ، وتذكر الفتى نصيحةَ الغولةِ ، فلمْ يَعْطِفْ على صاحبِ ٱلصَّوْتِ ، بل ظلّ مختفيًا وراءَ الشجرةِ ، يترقَّبُ لحظةَ نومِ ٱلطائرِ ، فلما أَغْمَضَ عينيهِ ، ٱنقضَّ عليهِ ، وقيَّدَ رِجْلَيْه ، وعَادَ بهِ إلى منزلهِ ، حيثُ وَضعَهُ فى قفصٍ بالحديقةِ ، ولما سمعَ الناسُ بأمرهِ ، أَتَوْا إليْهِ منْ كلّ فجٍ عميقٍ ، ليشهدوا هٰذا الطائرَ العجيبَ .



سمعَ النـاسُ الطائرَ يقولُ: سُبحانَ اللهِ، أيَّتُها الأخْتـان الشَّقِيـتانِ، توبَـا إلى اللهِ، واسْتغفرا مِن ذَنـبِكما قَبْلَ أنْ يَخسِفَ بـكما الأرضَ، وَمالتِ الأخْتان كلٌّ منهما على الأخرى وهما تَبْكيانِ وتندَمان على ما فَعَلَتا بأخْتِهما وبابْنَتِها التي توشكُ أن تتزوجَ مِنْ أبيها، يالَلحَسْرةِ على ما دَبَّرتاهُ من مَكائدَ شريرةٍ أدَّتْ إلى هذه النتيجةِ، رَبّاه ألهِمْ هذا الطائرَ أنْ يقولَ كلمتَه قبْلَ أن يُسَطِّرَ المأذونُ عقدَ الزَّواجِ.

وفى هذه اللحظةِ دخلتِ الأختانِ الشرّيرتانِ ، ثم جَلستا تحت شجرةٍ مِنْ أشجارِ القَصْرِ ، تَتذكّران ماحدثَ منهما ، وصمّمتا على التّوبةِ إلى الله ، وتمنّتِ الأختان أنْ تَجِدَا مَن يُسَاعِدُهمَا على كَشْفِ الحقيقةِ ، وتعهّدَ لهمَا الطائرُ بمسَاعَدَتِهما .

وكانتْ بنتُ سلطانِ البرق مُصْغيةً لحديثِ الأُخْتَيْن تَسْتمعُ إلى أعجبِ قِصَّةٍ فى التاريخ لاتعلمُ صَاحبتها . فأغمى عليها .. وسقطتْ على الأرض ! فأسرعَتِ الفتاةُ - حين رأتْها - إلى الدَّلْو الممتلئ بماءِ الحياةِ ، ورشّتْ بهِ بنتَ سلطانِ البرقِ ، فأفاقَتْ فى الحال ، ولكنّها كانتْ تبكى قائلةً : سأُخْبرُ السُّلطانَ بكلِّ ما سَمِعْتُ ، وسَوفَ لاتتمّ هذه الخطبة ! وكان السلطانُ قد تَقَدَّمَ لخطبةِ الفتاةِ وحدّدَ موعدَ عقدِ القِرانِ ، وقدّمَ السلطانُ الهدايا الثمينةَ وعلم الناسُ ، فتوافدُوا على القصرِ لتهنئةِ السّلطان بتلكَ المناسَبَةِ السّعيدة ، ولكنّ المفاجأةَ المُذْهِلةَ غيرّتْ كلَّ شىءٍ !!

وجلسَ المأذونُ ليبْدأ تحريرَ العقدِ، وإذا بالطائر يقولُ: السّلطان، فيردّ عليهِ جناحاهُ: يتزوج ابنته، ويتحيّر الحاضرُون ويسْألون الطائرَ: ماذا نقول؟ فيجيبُهُمْ: لم أقلْ شيئًا، ويعُود الطائرُ قائلًا: السلطان، فيردّ عليهِ جناحاهُ: يتزوّج ابنته، ويعودُ الناسُ فيسألونهُ: ماذا نقول أيُّها الطائر؟ فيقول: لا أقولُ شيئًا، وللمرة الثالثة يتكررُ قول الطائر. ويتحيّر الناسُ من أمْر هذا الطائرِ وفى حقيقة هذا الصوت المسموع، ولكنَّ بنتَ سلطان البرق أزالتْ حيرةَ الناس حينَ دخلتْ وأعلنتْ معنى كلام الطائر.



وباحَتْ لهُمْ بالسِّرّ الذى لايعلمُ بهِ أحدٌ حتى الزوجان، وعرف الناسُ أن ذاتَ القبقابِ الذهبىّ كانتْ زوجةً للسّلطان، وأنجبَ منها الولدان والبنت، وأن البنتَ هىَ عروسُ اليومِ، وقصّتْ على الحاضرينَ قِصّةَ الخالَتيْنِ الحاقِدَتيْن، وما قامتا به من خِيانةِ أختهما، وخطفِ أطْفالهَا وَرَمْيهِمْ على شاطئِ البحرِ، وَوضْع الحيوانات مكانَهُمْ، وَما تَبِعَ ذلكَ مِن إلقاء زوجةِ السّلطان فى الحظيرة، وهنا وقف الشيْخُ العجوزُ صَاحبُ الكوخ الذى آلتقطَ الأطْفالَ الثّلاثَةَ وربّاهمْ حتى بلغوا رشْدهمْ.



وكان سرّ هؤلاء الإخوة خافيًا عليْه، حتى هذهِ السّاعة فحَمد اللهَ وقال: إنَّنا لم نُصادفْ تعبًا فى تَرْبِيَتِهمْ، وهنَا ذَرفَتْ دموعُ الفرحِ مِنْ أعْيُنِ الحاضِرين، جميعًا، وحضرتِ الزوجةُ الحبيسَةُ وجلسَتْ بجوار زوجها السّلطانِ، وجلسَ أبناؤهما بعدَ عِناقٍ طويل، ودمعٍ غزير، وهنا تذكرتِ الأمّ كلمةَ القمر التى كان قدْ همسَ إليها بهَا: لكِ أولادٌ ثلاثةٌ مثلَ هؤلاء الجالسينَ على وجهِ القَمر، ولكنَّكِ سوف لا تَسْعَدينَ بهمْ إلّا بعدَ مُضِىِّ سَنواتٍ.



وتحولَ الحَفْلُ إلى صَلاةِ شكرٍ لله على جَمْعِ الشَّمْلِ وإعادَةِ المياه إلى مجاريها.

وقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشّتيتَيْنِ بعْدَ مَا
يَظُنّانِ كُلَّ الظَّنِ ألاَّ تلاَقيا

أَيَّها القصرُ: عُدْ إلى أفْراحِكَ وأضْوائك وبَهْجتِك ومَسَرّاتك، أيَّتُها الطُّيورُ: غرِّدِي.. لقد عادتْ صاحبةُ القصرِ، أيَّتُها الأزهارُ: تفتَّحى مِنْ جديدٍ، وأطْلقى عبيرَكِ ليُعَطِّرَ الجوَّ، وينشرَ الأريجَ العِطْرىّ.

أيتها الأشجارُ: تمايلى ذات اليمين، وذاتَ الشمالِ ولْتتراقَصِ الأغْصانُ معكِ رَقْصةَ الفرْحةِ والابتهاج. أيَّتُها النجومُ المتراقِصَةُ، أيُّها القمرُ المضىءُ، سلِّطوا أضْواءَكُمْ مِن جَديدٍ على قبابِ القصرِ العاليةِ لتشتركَ فى هذا المهرَجانِ العظيم.

سلسلة كتاب الطفل

صدر منها:

- الفلاح السعيد
- بوبي الظريف
- بسبس والفأر
- شكشك اللطيف
- الأمير الصغير
- فرحة الجلاء
- البطة المرحة

حلقات العربي الصغير

صدر منها الحلقة الأولى

حكايات جدتي

صدر منها:

- ذات الحذاء الذهبي ١-٢

توزيع ونشر مؤسسة عارف
طرابلس - ليبيا

